قمري
وسن عينا
الاستاذه عائله العمري

فهرسة دائرة المكتبة الوطنية

رقم (٢٠١١/٧/٣٣١١)

ISBN 978-9957-89-139-8 (ردمك)

جميع الحقوق محفوظة

لايسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات
نقله أو استنساخه بأي شكل دون إذن خطي مسبق من المؤلف

All rights reserved

No part of this book may by reproducted, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means

without prior permission in writing of the author

دار اليازوري

هاتف/فاكس ٤٦١٤١٨٥ ص.ب ٦٤٦-٥١

عمان ١١١٥٢ الأردن

www.yazori.com

مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع

تلفاكس ٠٢٧٢٠١٠٠ ص.ب ١٢٨٤

إربد ٢١١١٠ الأردن

Email: hamadacompany@yahoo.com

وقرى عينا

وقري عينا

رواية

للكاتبة عاتكة العمري

مقدمة

كثيرون هم البشر الذين تتكشف أرواحهم مع طول الملاصقة والمعاملة وقليلون من يثبتون على مبادئهم.

الذكريات

كانت هذه نظرتها للحياة بائسة عابسة يشوبها الإرتياب، لا تجد حولها من تثق به أو حتى تسند كتفها إليه، أختها الوحيدة راجية والتي تصغرها بسنتين تعاني صراعاً مع مرض عضال، طال تحملها له ربما هي ضحية رجل استولى على حياتها أو ضحية خياراتها ؟!.

أبوها -أبو عامر- الرجل المهيب الأشيب، عريض المنكبين، حين يتحدث تنبعث رائحة تبغه الرديء لتزكم أنف السامع قبل أن تصل له كلماته فتطرب سمعه، لا ينفك يتشدق بالمبادئ ويطلق الكثير من الأحكام إنه من تربت في كنفه عمراً ولم تشعرأنه يستطيع أن يمد يده ليربت على كتفها دون إذن تلك المرأة المتسلطة زوجته الجديدة -ماجدة-.

تعود بها الذكريات لحضن أمها السيدة رهيفة المرأة المسكينة المقهورة التي ترى نفسها صورة منها، امرأة في ثوبها الكالح ذي اللون الباهت والذي لم تعتد أن تبدله بغيره، هل هي الحاجة أم العادة !؟ ليته تسنى لها الوقت لتسأل أمها هل كانت حقا لاتجد ما تبدل به ذلك الثوب فكان أن اقتطعت عن نفسها لتقدم لهم

احتياجاتهم أولاً فتحول الأمر معها إلى عادة؟ لقد رسخت صورتها بذلك الثوب كأنه جزء منها، يجسد حكايتها بتحملها وعطائها وكتمانها، فالنّساء في ذلك الزمان كالجب العميق لا تكاد تعرف ما يخبئن غامضات كغموض قصة بوليسية، إنهن أحجية تحتاج من يفك الغازها ويفهمها، صابرات، متحملات، يعشقن الشقاء أو هو يلازمهن.

كانت تراها خطىً من قدرها وربما هي خياراتها أو ما اعتادت عليه.

الصبر، التحمل، الإحتياج، الإستسلام، هي ما تشكل تلك المشاعر فينا.

تذكر أنّ لها أخاً اسمه عامر اختطفته يد الهجرة في بلاد بعيدة لا تتذكر حتى ملامحه سافر شاباً وهي لا تزال صغيرة، حيث انقطعت أخباره في غربته .

سمعوا من بعض القادمين من تلك البلاد أنه قتل على يد عصابات المافيا في بلد أوروبي وما أكثر تلك الشائعات التي تحيط المسافرين من بلادنا إلى بلاد الغرب، هناك من أخبرهم أنه اختطف ولم يقتل، ووصلتهم أخبار أنه يعيش في تلك البلاد كواحد من مواطنيها وقد تزوج وأنجب . كل هذا ولم يقطعوا بحثهم وسؤالهم عنه لكنهم لم يقعوا له على أثر أو خبر، عدا أقاويل تصلهم ولا يعرفون حتى مصدرها، أتراه قطعة من جليد

فكان أن ذاب وتبخر! أم أنّه نسج من قصص الخيال فلم يعد له وجود وكينونة ؟!

حين تتوهج الذكرى محملة بعبق الماضي ونكهة طفولية أزلية لا تمحى حتى بتقادم الأيام لا تنسى فرحتها بتلك الدمية الصغيرة التي أحضرها لها في آخر إجازة قضاها بينهم ، ما زالت تحتفظ بها وتبكي بدموعها الحرّى ويكأنّها تقول لها" أنت صديقة الطفولة ."حين قدمها لها كهدية كانت تتمنى أن تحظى بدمية فهي لم تشاهد مثلها إلا في التلفاز، راحت تجري عبر الساحة المكسوة بالعشب على امتداد السور الأمامي محلقة بخيالها لا تكاد تصدق ما تلمس يداها، إنها دمية حقيقية! رأتها بعينها أجمل من صديقتها ريما تلك التي تلازمها في المدرسة كظلها في الفسحة، تتناول معها قطع البسكويت وبعض لفائف الزعتر التي أعدتها أمها، قالت في نفسها وهي تحدث دميتها "سأتناول معك شطائري لن أحتاج لصحبة وفضول ريما بعد اليوم" شعرت أن دميتها ردت عليها وتلألأت عيناها ببريق يشبه ذاك الذي ينعكس على صفحة ماء البحر في ليلة قمرية لا بل ربما أشبه بلمعة البرق في أفق السماء في ليلة ماطرة .

الصديق قد يكون من صنع أفكارنا أحياناً، وكثيرون منا لا يجدون الصديق الإنسان فيعوضونه بطريقتهم فالصداقة ملجأ ، وملاذ ، راحة وأفكار مبثوثة ، وقد وجدت راحتها مع دميتها تشعر بها قطعة من روحها عادت لتقول لها :"

أنت صديقة الطفولة ومن أبث لها أنيني " تلك الدمية هي ما تبقى لها من أيام حلوة عاشتها واستنكهت فيها معنى أن يكون لها حضنا دافئا يحتويها ، فمن الصعب أن يتخلى أحدنا عن حضن يحتويه إلا على أمل أن يعوضه القدر بمثله .

أحيانا يلهمنا الإعتياد صبراً، لقد تعودت وألفت حياتها كما تعودت على إشراقة الشمس ، هكذا نحن تصير الأشياء جزءًا من ذاكرتنا البشرية تلح علينا وتتردد على أغلفة قلوبنا فتقض جدار أرواحنا حتى لا نلبث أن نعتاد على لهفة أجسادنا نحو ذلك الدفء الذي نفتقده فيكسونا من جديد .

إنها حقبة الثمانينات، عاشت سلوانا جمالاً وتآلفا و روحاً ، وبساطة ما كانت لتستمر حتى يومنا هذا، هذه السمات في ذلك الزمان أنماط حياة إعتاد النّاس أن يعايشوها كطعامهم وشرابهم ،طقوس اعتيادية لا تخضع لاستهجان أو نكران .

في ضواحي بلدة قديمة ومجتمع محافظ وهذه سمة عامة لمعظم البيئات والمجتمعات العربية المنفتحة نحو الحياة من جديد بعد عقود من الإستعمار والإستهلاك الفكري والتأخر المادي . بدت بعض السمات غالبة على الشريحة العريضة في تلك المجتمعات فالبساطة والعادة هي الروابط والأواصر الأكثر وضوحاً يشد بعضها بعضا كأنّها أيادي متشابكة.

في صيف البلاد تتشابك أشجار التين مع الدالية (أشجار العنب) في منظر بديع حيث لا يخلو فناء بيت من دالية تتدلى بعناقيدها متكأة على امتداد شجرة من تين أخضوضر ثمرها يانعا يشتهي أن تمتد أليه الأيادي مغازلة إياه بقطاف، وعلى مقربة منها دكان الحي حيث يجلس كبار السن على أغلفة كراتين البيض التي صنع منها السيّد مهدي صاحب الدكان مقاعداً يجلس عليها أيقونات التاريخ من المسنين ككتاب مفتوح يتنفسون دخان الهيشة وبعض من تبغ رديء يدسونه في سبيلهم -غليون- يتبادلون القصص والمرويات تتعالى اصواتهم على وقع حجر الطاولة -النرد- أو المنقلة .

وفي خريفها قطاف آخر للحُبّ في حبات الزيتون حيث رائحة الشتاء قادمة من البعيد تؤذن ببركة المواسم في أسمال الغيمات المترعة بحبات المطر، والأطفال يتراكضون حاملين -علب السمن الفارغة والمعبأة بالجوال -حبات الزيتون المتساقطة -أو التعيّش- ما يتبقى على الأشجار من حب – يتلاقطه الأطفال ليبيعوه على دكان الحي ويشترون بثمنه الهريسة وكرابيج حلب والمشبك الملون وكلها حلوى تقطر على أرواحهم دفئا يصدّ عنهم برد ريح الشراقي التي تهب خريفاً في موسم القطاف، فتتجعد منه طبقات الجلد وتكرمش في اعتراف منها بقوة تلك الريح القادمة من الشرق والقادرة على التغيير.

هذه هي أرضهم الطيبة التي تشبههم ويشبهونها في معاشهم البسيط ، الفلاحون الطيبون الذين يحكون عراقة المكان .

بيئة هي انعكاس أهلها، وهم مرآتها ،من على شجرة الزيتون يغازل الرجل زوجته وهي تلملم حبات الزيتون بأياديها المخشوشنة من شقاء الحياة .

لم تكن المرأة تخشى من هجران الرجل لقد كانت قوية بما يكفي لتكون جاذبة لا منفرة ، بؤرة ذات مغناطيسية ينشد ودها أهل بيتها العامر، زوج، أبناء، وأحفاد دائموا اللهفة والسؤال عنها ، قوية بما يكفي ليكونا جنبا إلى جنب ، فهي صاحبة دور كامل لا يفصل الجسد عن الروح، منجزة وعاملة وأم .

أما أولئك الصغار فمجندون يتراكضون تحت الاشجار يتسابقون بمرح وهم يعرفون معنى أن تعطي وتعمل لأجل أن تحيا .

الشتاء حكاية أخرى مطعمة بأشجار البرتقال والليمون ورغيف خبز ساخن يعوض بدفئه شيئا من ذلك الصقيع، وصحن زيتون وزعتر لا تنفك مغمسة فيها الأيادي على أنغام وأهازيج جميلة (يعشقون الورد لكن يعشقون الأرض أكثر) .

تلك قصة الحياة في كل زمان ومكان ، الصغار يكبرون ليصيروا أفواجا تعدو خلف لقمة العيش ، المرأة إلى جانب الرجل ، الكبار مع الصغار وكلهم يخوضون ذلك المضمار من أجل سبق الفوز برغيف الخبز، فقد كانوا لا يعرفون غيره ربما

إنّ مقولة "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان "لا تنطبق على جميع الناس في هذه الأرض فوحده الخبز كان هدفا سامياً وواضحاً لتتقاتل وتشقى لأجله أجيال تتلوها أجيال .

في ظل تلك الذكريات تجلى لسلوى تلك الفتاة اليانعة النظرة كما الزهرة والتي صارت إمرأة ناضجة تحيا بنبضات قلبها الدافء ، تجلى لها طيف أختها تذكرت كيف كانت لها ظلا ومعلما ؛ طفولتها و راجية حكاية أخرى تذكرت كم مرة اقتطعت من مصروفها في المدرسة " شلنا " لتقدمه لراجية تلك الرقيقة العظام الباسقة الطول كنخلة ، فالناس تأكل لتشبع وراجية تأكل فتزداد طولا وهزالا قالت في سرها "راجية إنها حكاية، آه تلك الفتاة لا أعرف من أين أبدأ لأصفها ، يبدو أنها ذلك الجانب اللعوب مني ، فهي لا تقف على شيء ولا تفكر بشيء !! كم كانت أمي توصيني دائما بها إنها طموحة إلى حد الغرور جريئة لا تعرف الخوف !!

في باحة المنزل كانت أزهار الياسمين تحيط الفناء كسوار يلتف حول معصم ناعم وتتوسطه دالية العنب المتسلقة على ساق شجرة التين المنغرسة في إحدى زوايا الفناء ، وعلى مدخل البيت تسلقت زهرة المجنونة بلونها الأرجواني الفاقع ، لطالما كانت تشبهها بها في جنونها وفوضويتها وربما جراءتها .

أما عن نفسها، لقد أحست بأنها نمط آخر مختلف عن راجية لكم كانت كلفة برغبات أمها ومنضبطة بأوامرها هاهي تتذكر كلماتها لراجية في أحد نهارات الطفولة "سارعي فأمي تنتظرنا تريد أن ندخل الى المنزل فقد حان موعد النوم "

في ذلك اليوم كان الوقت قبيل الغسق تتذكر رائحة وملامح ذاك النهار فالطفولة وأيام الصبا لها رائحة خاصة؛ تعشقها الروح وتستعيدها لترسم تلك الصورة الجميلة فلا تنطفئ من الذاكرة أبدا.

كانت راجية منهمكة في اللعب مع فتيان وفتيات الحي ببراءة ليس لها مثيل في أيامنا هذه ؛ ينعتون بعضهم البعض بألقاب تعجبهم ، يتصارخون و يتشاكسون ، حين جاء ردها من بعد "انتظري قليلا يا اختي لم ننهي جولتنا بعد!"

تقاطعها سلوى " لا نريد مخالفة كلام أمي "

ترد راجية بدلال طفولي " سنعود يا سلوى حين تنام الشمس و يصحو القمر".

لا يروق هذا لسلوى فقد كلفت بمهمة ، تصيح بأختها "ستتسببين بغضب أبي هذه المرة والذي سيصبه على أمي إن لم نعد الآن .

لكن راجية تتصاعد قهقهاتها مع أولاد الحي دون أن تأبه فتشدها سلوى من يدها وتجرها معها ، كم تفوق سنوات عمرها

انضباطا وكلفا ، مولعة بتأدية ما تطلبه أمها منها ربما حبا وطاعة وانقيادا بديهيا !!

استجابت راجية أخيراً برجاء من سلوى فسارت معها ودلفتا من باب السور المؤدي نحو الفناء الداخلي للمنزل .

وتراكضن نحو المغسلة الجانبية في الصالة الخلفية ليتراشقن ببعض قطرات الماء المنسكبة من الصنبور على خجل وذلك لشح المياه في مثل هذا الوقت من الصيف فجاء صوت أمهن لتنبههن على توقف عبثهن بالصنبور .استجابت الفتاتان من فورهما لرغبة الوالدة التي كانت تأمر فتطاع فقد أحبت الفتاتان أمهما وتعلقتا بها أكثر من أي شيء آخر وبدلال وتدافع وضحكات إتجهن نحو الخزانة الخشبية التي تنوء بأحمالها كانت خزانة من خشب الزان المتين تستطيع أن تتحمل أضعاف وزنها من أكوام الثياب، قامت سلوى بعدها بتناول قطعتين من كومة الثياب الخاصة بهن متمثلة بملابس النوم؛ قميص قطني مطعم بشريط من الكتان صنعته لهن أمهن عند جارتهم الخياطة أم بديع التي تسكن ناصية الشارع إلى جوار بيت عمها سميح ذلك العم الذي لا تعرف عنه الكثير فبعض أواصر القربى تكون كقلتها إن خالطها ذلك الجفاء فكم سارت مع أمها في الدرب الترابي بمحاذاة بيت عمها على مرأى من زوجته يحملن معهن قطع من القماش الذي كانت تنتقيه لهن أمهن من المدينة بعد رحلة شرائية بناء على توصية من السيدة أم بديع ومن لا يعرف

أم بديع وفلتات لسانها؛ امرأة يجتمع عندها كل نساء الحي يحببن ذلك اللسان بل يعشقن فلتاته .

تتبادل النسوة الضحكات والأحاديث وحتى الهموم أحيانا ، كانت بمرافقة أمها دائما لبيت السيدة أم بديع ، تستمع بالنظر ليديها حين تخيطان الملابس بإتقان وكيف تحرك قدميها على تلك الآلة للخياطة لتحكي سنوات من العمل بأيدي الماهرة أم بديع التي تمثلت مهارتها بخبرتها في خياطة الملابس وليس في فن الخياطة نفسه أوحتى تذوق ذلك الفن فلم تكن النسوة يعبأن في بيئة بسيطة بما يسمى فناً وقليلات من الفتيات من يتبعن الموضة فلا زالت التقاليد تؤطر المجتمع بإطار صارم وجاد وقليلات من يتجاوزن ذلك وربما يشار لهن بالبنان.

لهذا كانت أم بديع بنظرهن ليس لها مثيل ولا حتى تلك السيدة التي يتكرر ظهورها على شاشة التلفاز لتتحدث عن الموضة والأزياء، ترتدي فستاناً لا يستر الكثير من جسدها بينما لم تعتد النساء في بلدتها على ذلك.

أم بديع بالنسبة لهن أكثر احترافية ومهنية من غيرها حتى لو كانت تلك العارضة أو السيدة الرشيقة التي تظهر على الشاشة، تمنت سلوى أن تقتني واحدة كتلك الآلة تجلس خلفها وتتقن عملها ، ظلّت ترقبها بشغف، يقاطعها نظر بديع ابن أم بديع ذلك الفتى على أعتاب مرحلة المراهقة ينظر إليها خلسة من بين النسوة وهو يقف بباب غرفته التي تشرف على جلستهن

فتصرف نظرها خجلة ومتجهمة فهي لم تعتد على ذلك ولا تحب حركات الفتيان ولا يستهويها عالمهم على الرغم أنها في مرحلة سابقة من عمرها تمنت لو كانت ولداً ولم تعرف لما صاحبتها تلك الأمنية زمناً ربما شعرت بتلك الحظوة التي يعيشها الفتيان في محيط ذويهم، تذكرت كيف يحاول الكثير منهم جلب انتباه الفتيات في المدرسة، فهم يقدمون على الكثير من الأشياء التي تراها بعض من حماقات. "هل كانت فتاة طبيعية!" تساءلت

اعتادت على الجدية والصرامة وحتى في لحظاتها الهزلية لم تكن تسمح لفكرها أن يجول في فلك أطياف العشق والغرام كما تلك الفتيات المتبجحات اللواتي يتحدثن مع فتيان في مثل عمرهن أو أكثر يبادلوهن نظرات الإعجاب وما هو أكثر لكن هذه الأحاديث لا تروق لها أبدا لا تسمح لنفسها أو لأختها بأن بذلك فهي تشعر بمسؤوليتها تجاهها، كانت تحس بأن حديثا كهذا يأتي مبكرا بين الفتيات، ترى أنها لا زالت صغيرة لديها ما يشغلها ولم تتعود على هذه الأحاديث في محيط أسرتها كانت في قائمة العيب والممنوع.

هكذا كانت أمها توصيها أن تصون نفسها حتى يأتيها من يصونها و يحفظ لها محافظتها على نفسها فهي تربية والدية وتنشأة منذ الصغر لا تعرف حتى إن كان ما تقوم به هو الأقرب

للصواب فقلة من الفتيات من يفعلن مثلها " يبدو أنه زمن رديء "هكذا خاطرت نفسها.

تسمع عن نساء المدينة المجاورة ويعزز ذلك ما تحدثهن به السيدة بدرية تلك المرأة بما يبدو عليها من أثر للنعمة فهي من النساء المعروفات بتألقهن بنظرة النعيم والثراء نشأت في بيت ثري وتزوجت بتاجر ثري سمعت أم بديع يوماً تقول عنها "قديماً قالوا المال يجرُّ المال ويبدو أنّ هذا المثل انطبق على بدرية"

اعتدلت بدرية في جلستها لتقول "سمعت أنهم لا يسمحون للفتيات الصغيرات بالذهاب للتسوق مع أمهاتهن و حتى دكان الحي لايسمح لهن بزيارته "

فتتعالى صيحات الاستنكار والتعجب من النسوة. صوت إحداهن من بعيد تقول "الفتيات لدينا لهن كل الحظ من التعليم والحرية والتربية"

وأخرى يرتفع صوتها لتشارك "إنهن والفتيان سواسيه تماما إن لم تكن الفتيات أكثر حظوة ".

هكذا حوارات هي صورة تنضح بوعي رفيع في زمان لم يكن الكثير من الضوء مسلطا على الإهتمام بفكر نسوي منحاز لا من أجل الإنحياز بمعناه وإنما من أجل الأخذ بيد النساء في البيئات الأقل حظاً من التعليم والثقافة .

في تلك اللحظة تقدم لهن السيدة أم بديع ضيافتهن فالمرأة هي المرأة تستطيع أن تكون مثقفة وأيضا بارعة في صناعة الحلويات حتى تضفي على من حولها مذاقا حلوا بنكهة السكاكر ، الشاي ذلك المشروب الشعبي الرائع في أكواب مرتبة وبجانبها تشكيلة من الحلويات والمخبوزات العربية المميزة حيث تتسابق النسوة في هكذا لقاءات لإبراز مهاراتهن بإعداد الحلوى والأطعمة وكل منهن تسعى لتكون الأفضل.

وعيون الاطفال الذين يلعبون في الفناء تختطف قطع الحلوى قبل أياديهم ففي مثل هذه اللقاءات يلتقط الصغار ذكورا وإناثا مهارات الحياة قبل أن تجندهم في قطارها السريع يستمعون للأحاديث ويتفاعلون مع البيئة من حولهم ، في تلك الأجواء يسود صمت يغلفه قعقعة الكؤوس وهمهمات الطعام والتذوق وعبارات الثناء. تعود السيدة بدريه لتوضح أنها سمعت أيضا _وما أكثر ما تتحدث به النساء وهذا في المجمل – "إنهن لا يستطعن ارتداء البنطلون وأنهن مقيدات في ذلك ويمنعن أن يدخلن الجامعة ليتعلمن ومن تحصل على مجموع عالٍ يزجون بها في معهد متوسط أو يزوجونها من أول طارق ويدّعون أنّ ذلك من أفضل عاداتهم !! وحينما تناقش أحدهم في ذلك يقصونك ويعتبرونك كالمارق فأنت تتبع هواك ولا ضابط أخلاقي لديك !!

يأتي صوت المربية الفاضلة نعمت وهي سيدة مثقفة لها خبرتها وهيبتها بين النسوة وذلك لباعها الطويل في إدارة مدرسة الفتيات في البلدة " فتقول لا يعقل أن يربطوا هذه الأفكار والعادات والأدوار النّمطية بالفتاة"

هذه العبارة تشعر الكثيرات بالدوار فعقولهن لا تستطيع أن تترجم كلمات السيدة نعمت فأغلبهن لم يكملن تعليمهن . تشارك السيدة أم بديع بصوتها الجهوري كوقع ماكينة الحياكة "من غير المعقول أن يُترك مثلهم ليتحكمون بالفتيات المسكينات" فتجيبها السيدة بدريه بوقار وهي تعبث بقطعة حليها الثمينة المتدلية من عنقها قائلة "لقد ارتضين ذلك وعشن به!! نساء باليات العقول."

حضن

كانت سلوى تسمع أحاديث النساء وتعتقها في ثنيات مخيلتها وتتشوق لسماع المزيد، سعيدة بهن ، تتقمص أدوارهن وتحكيها قصة للعبها وتدرب نفسها عليها قبل أن تنام ، مفتونة بشخصية

السيدة نعمت ، استهواها أن تجلس بقربها في كل مرة تلقاها حين تصطحبها أمها معها في زياراتها ومشاركاتها ، فلاحظتها السيدة فكانت تهتم بها وتحادثها أحست بأنها مختلفة فأحبت أن تساعدها لتزيد من اتقادها، صارت تقدم لها كل حين ما تقرأه أو تطلع عليه .

جميل ذلك الشعور إنه حضن آخر من أحضان الحياه حضن يتبنى ذاتاً فيحفز فيها ذلك الفكر والمسرح الداخلي في أعماق اللاشعور وقد امتلكت سلوانا ومنذ صغرها ذكاءً خاصاً ربما هو ما يسمى بالذكاء الوجداني فقد كان لديها مقدرة عجيبة

على فهم الآخرين والإحتكاك بهم لم تكن تشعر بنفسها حتى حدثتها السيدة نعمت قائلة "أنت تمتلكين ذكاءً وجدانياً يا سلوى"

تساءلت سلوى وقد كانت تتلقى كلمات معلمتها بأدب ووقار "وماذا يعني ذلك معلمتي؟"

لتجيبها السيدة نعمت "

الوجدان هو ذلك الإحساس العالي الإنساني الراقي والتذوق الأولي للذة والألم هو الحالة التي يكون عليها الشخص من حزن أو فرح بانعكاس داخلي لثمرة بذرة داخلية من بذور الفطرة تنمو وتُبعث فيها الحياة لتبرعم داخل النفس"

سلوى "أجد شيئا من هذا الذي تتحدثين عنه في نفسي بالرغم من عدم فهمي لكنهه وأتلمس تأثيره الأولي بفعل تلك المواقف التي تتهيأ لي خارجا فيكون انعكاسها داخلاً"

السيدة نعمت مضيفة: "عزيزتي كلما زادت وجدانية الشخص ارتفعت حساسيته ، ربما إن ارتفاع الحالة الوجدانية لديك هو ما يجعلك تتأثرين بالأحداث والأشخاص حولك فيكون في نأيك عنها نوع من سلامة وعلى نفس المنوال ففي تآلف الاروح وجدانياً هذا ما يحصل أيضاً فكلما كان الوجدان نقياً وارتفعت حساسيته كان الضمير الإنساني الوجداني هو من يتحدث

هزت سلوى رأسها مشيرة إلى موافقتها المغلفة بالدهشة ثم

ساد صمت وشيء من شرود فقد كانت سلوى تتفكر بكلمات معلمتها التي قطعت الصمت مجدداً

وأردفت قائلة " الوجدان النقي بنيتي على درجة عالية من الشفافية ربما ليستطيع أن يكون على اتصال عال مع الكون من حوله لتلقي تلك الإشارات المماثلة على نفس الخط الروحي ولن أقول المكاني لأن تلك الأرواح في شفافيتها ووجدانيتها تتعدى الزمان والمكان لتحدث نوعاً من تخاطر الوجدان والأذهان متخطية بذلك الحدود التي نعرفها متجاوزة أفقها إلى عالم الأرواح العليّة وفي هذا أشعر بك يا صغيرتي تشبهين تلك الطفلة داخلي "

سلوى بمرح طفولي غامر "كلماتك عظيمة، ليت لي مثل علمك وحظك معلمتي سأكون إذا أسعد الناس "

السيدة نعمت تربت على كتف سلوى وتمسح على رأسها"بل وأفضل حالاً صغيرتي وأكثر حظاً، وسيأتي يوم وتفهمين كلماتي جيداً"

نضوج

شعرت أنها تنضج بفكرها قبل جسدها حين أحست ببلوغها كانت تخشى ذلك اليوم لأن الأوهام والهواجس كثيرة حولها وخجلها وكتمانها و جسدها الغض جعلها متشبثة ببراءة الطفولة لا تقبل أن تخلعه وتقاوم في سرها من يريد أن يخلعه عنها ، لأن الطفولة هي بقية من براءة وسعادة لا تريد أن تفقدها ولا أن تحيا كواحدة من أولئك النساء المعذبات والمقهورات على أبواب مجتمع ذكوري بحت هو واقع في بيئاتنا وليس خيالاً أمّا عن سبب هذه السيطرة الذكورية فليس الرجال وحدهم هم المسؤولون عنها وإنما يد النساء العابثات بمجتمعهن وأنفسهن أيضا الراضخات والمستسلمات من يحملن معول الهدم وتقويض النفس .

حين تنام أحلام المراهقين في عقولهم ويعيشون تلك المعركة المرهقة والتي ينقشع لثامها مع أول ابتسامة بين ذكر وأنثى. نداء قديم لم تفقده الحضارة والمدنية بريقه حتى لو كانت تلك الأنوثة بسيطة في ملامحها أو تلبس ثوبا مخملياً فاتناً، فتبقى هي الأنثى قدر ذلك الرجل وموطنه إنها الصورة البشرية للأرض التي خلق منها آدم لتعود وتخلق هي منه من جديد وكأن العطاء هو ما يبعث فيهما الحياة فيعود كل منهما في حلقة مفرغة بإتجاه صاحبه .

"لماذا تحمّل البيئة المرأة فوق أحمالها !؟ لماذا يرتبط الشرف والعرض بالمرأة دائما وما سر تمسك الناس بأن تكون النساء

واجهة لأحزانهم ، ماذا يخيف الرجل من المرأة ليلصق بها كل نقصه وعوزه مزيدا إلى نقصها وعوزها البشريّ، أتراها ذات الحلقة المفرغة تدور في ساقية الأحلام لكليهما !؟ أم تراها آثار الأساطير القديمة لمعنى الأنوثة والذكورة في هذا الكون وصراع الآلهة في تلك الأساطير حيث لم يعد بالإمكان أن تظل مرتبطة بالسماء لتنزل من الخيال وتتجلى في أرض الواقع بدءاً من قصة ذات الرداء الأحمر ودلالتها الأسطورية الرمزية على الأنثى وتلك التعليمات التي تتلقاها للمحافظة على نفسها بصورة الوصايا الوالدية كي لا تقع في براثن الذئب الذي يرمز للشر والعار وأولئك المتربصين بذلك الجسد البريء المتوشح برداء أحمر يرمز لذلك الاعتلال الشهري الذي يصيب كل أنثى في رمزية وعلامة مميزة لها!؟

إنها تلك الرمزية إذاً ذات الرداء الأحمر، مروراً ببياض الثلج وانتهاءً بسندريلا وجنياتها .

مغمورة هي بخجلها و طيبتها وحسها العفوي مكللة بالوقار وفتيات في عمرها نزعن رداء الحشمة ولم يعرفنه، وسعين وراء رغباتهن، منهن من ابتسمت لها الحياة ومنهن من سقطت في وحل رذيلتها أمّا هي فقد استطاعت أن تحضّر ذلك الماضي البعيد كروح طيبة تريد أن تعيش بيننا تحيا بنا فتسطّر الماضي

حقيقة وتسترجع معه ذكرياتها بأفراحها وعذاباتها لتجري عليها الأيام والسنين، إنّها الحياة!

سلوى

يأتي صوته موقظا لها يا امرأة -هل نسيت أنها إمرأة أم هل نسي هو اسمها- فتعود من رحلتها في عالم قديم اقتسمته بحلوه ومره مع من أحبت . كم هي جميلة الذكريات حينما تشدنا

كخيوط حرير وتمطرنا بسحابة القرب. إنه شعور نحتاجه كل حين لتشعر أرواحنا بالإنتشاء في لحظات الغياب فلا تصدأ ذكرياتنا ومعها قلوبنا.

يتملكها ذلك الحنق حينما تراودها ذكريات ليست ببعيدة ، حين تحيا فتاة ما قصة حب في مجتمع شرقي تتلفت في كل حين لتتأكد من نبض قلبها وخواطرها ، لتعيش وسط زحام المشاعر وهواجس الحضور والغياب وكل ذلك لا دخل للعقل فيه وإنّما القلب والمشاعر هي الترجمان وهي القائد فلا بد لتلك المشاعر المكبوتة أن تعود للحياة من جديد يبدو أن كبحها لم يكن قوياً بما يكفي لينحيها جانباً فكان أن توسدت أحلامها وصارت رائدة على قلبها في عالم مواز ربما هو الحقيقة .

كانت بحق فتاة نابضة القلب لم يستأذنها حين دخل عالمها، كان يلعب في مسرحها يحاول لفت نظرها، شاب يمتلك جرأة الى حد ما، تربطه قيود نشأته في مفهوم علاقته بأي فتاة كمجالسة تلك ، فنجان قهوة مع أخرى وتسكع في الطرقات مع مجموعة الأصدقاء لكن هذه الفئة ليست للزواج ، تصلح للتسلية ، وهناك من يدفعون أعمارهم ثمنا لهكذا تسلية.

عندما طرق باب قلبها كانت نضرة كالزهرة مشعة كالشمس، هكذا هي الزهور قبل أن تقطفها يد العابثين.

أحس بإختلافها، ذلك الجانب اللعوب في شخصيته الذي لم ينضج بعد كان لا يزال يختبر النساء كرجل شرقي، هي قصص وحكايات لاتخلو من كونها صبيانية .

ألحَّ عليها برقصاته الذكورية التي كانت كاستعراض على مسرح أنوثتها، ولها دون غيرها، يقول لها "أنت من أتنفسها هواء وأشربها ماء فاقبليني يا سلوى أو دعيني بين حنايا قلبك الحاني ، أو كوني لي وطناً فإنّي أبحث عن وطن، يراقص عينيها ببرد الشتاء ووهج الصيف . تلمع صورته في مآقيها حين تتخيل أنها تبتعد عنه فتقول " لقد تمكن من قلبي وتربع على عرشه وأغلق عليه بابه "

لم تكن تصلح لذلك الزمان ولا حتى المكان فهي لا تشبه إحداهن وتلك القصاصات التي جلس يكتبها لها مستعيرا من فكر غرامياته ومراهقاته القديمة أصابت سفينة النجاة في قلبها فغرقت في بحر حبه.

كان شخصا يراقب ويسجل تفاصيل حياته في فسحة وخلوة استشعر فيها مشاعره وما اختلط بعقله منها وما يتذكرمن قصص الأصدقاء ، كان استثناءً في جيلٍ يحيا ما هو أكثر من

ذلك وكأن الزمن قد سبقه وتركه على أعتاب ذلك المكان ثم عاد إليه.

حين استطاع أن يفك حصاره عن قلبها كانت قد أحبته واستسلمت وانجذبت نحوه لأنها رأت فيه ذلك العناد الذي يتملكه حين يرغب بشيء، ألح عليها بعناده فنال قلبها، إنه الإصرار والعناد حتى في الحب، خيّل إليه أنها أميرته التي لن يجيء الزمان بمثلها، هوس العشق اللامحدود، لم تكن متطلبة ، تزوجها وعاهدها بأن تحيا متوجة على عرش قلبه، خرج من قفص طيشه الذي كان يحيا الى رحابة صدرها وفكرها.

وما الحب إلا معنىً دائراً بين الحقيقة والوهم، محسوسات يستعان بها على تلمس مفقودات قلوبنا فلو أننا فقدنا تلك الحواس لما اختلفت الحقيقة عن الوهم في شيء إنّما هي محسوساتنا من جعلتنا نتذوق حلاوة هذا الحب في قلوبنا قبل عقولنا وإلا فكل ما يحيطنا من مسميات هي مسميات خالية من الشعور وعليه فأسمى مراحل النفس تلك التي يتربع عليها الحب كملك على عرش القلب فبه ترتقي الروح في معراجها نحو أصلها السمّي غير المادي في عالمنا الذي نعيش .

خامرت عقلها هذه الكلمات التي خطتها في مفكرتها يوماً وأصرت أن تجعلها تطرق أذنيها:"

"يارويحة القلب

القليل جداً من نفحك هذا ما يسد به الرمق

و الكثير جدا منه في جوهر الشيء قد يبدو جليا وألق

وقد يُشتمّ الوداد من رائحة الهواء الذي نتنفس في هذا الأفق

إنّما الحب تعلق النّفس بكائن يشبهها وتجل فيه إلى حد يشبه الغرق

هناك في أعماقنا مالا نقدر على فهمه فالفكر يغدو ويروح يفتقد من معانيه السامية وما ينعكس على صفحات دفاترنا فالورق"

وأفاقت على صوت آخر يقرع أذنيها موسعاً يدعوها لحوار تتسع له القلوب في معركة مؤونتها تلك العلاقة الأزلية بين رجل وامرأة. تذكرت كلمات معلمتها يوماً حين قالت :-

الرجل ربما يكون صاحب خلق أصيل في تصوره لعلاقته بأنثاه وقد ينزل في تعامله معها منزلة العادة والعرف

وفي ذلك تتجلى البيئة وطريقة التربية أمامنا في واقع يفرض نفسه وإن تمردنا عليه قولا فلا يزال متجسدا واقعاً في نفوس يحكمها الإنغلاق وإن ادعت غيره"

وعادت لتهز رأسها مستسلمة لخواطرها قائلة:

"خلتُ المعاني التي تسكن الكلمات تُلبسني قميصها دون شعور مني لأذوب معها وأتوحد في مشاعر هي خاصتي لتغدو وتجيء مرهقة على شعاب نفسي فاسكن معها إلى مشاعري قبل أن تسكنني ."

لازالت تتذكر تلك الكلمات الرائجة والتي كانت تتردد على أفواه أبطال المسلسلات الرومانسية الحالمة في حلقاتها الأخيرة لتكون خلاصتها تلك المقولة:"

الزواج قصة أخرى في حياتنا كشرقيين . الزواج هاجس وأحلام ومن ثم موعد لانتهاء الغرام بين أي عاشقين . الزواج قفص أو قيد يأسر ذلك الأسد في عرينه"

هي لم تؤمن يوما بذلك ، بل أحبت أن تثبت العكس فتغير نظرة الناس ، تحدت هذه الأفكار بحبه لها ولأنها شعرت أنها بوابة للخلاص والانعتاق، لكن الى أين وإلى متى ؟؟

في بداية حياتها معه كانت تلتصق به كوردة تزين قميصه ، لا تفارقه ولا تبعد لواحظها عن محياه ،ترقبه حين يخرج إلى عمله بقلب عاشق رحيم لا يغادر محرابه، بل تطارده بخيالات العشق وصورة الحبيب المنطبعة في الذاكرة .

خاطرت نفسها "هل أخطأت أمي يوما أن جعلتني كالقديسات فتملكتني كل هذه المشاعر التي تفيض على فؤادي فتغرقني في

بحر رجل فلا أستطيع أن أتنفس إلاه لأحيا .ويحي هل أقول ليتني لم ألتقي به أم ليتني عرفته مذ وعيت لأجد الخلاص لنفسي "

وماذا بعد يوم فاثنان فثلاثة ومن ثم نكمل أسبوعا فتتكرر الأسابيع شهورا ولا نشعر بتلك الشهور إلا وقد سرقت منا سنوات فلا ندري هل وعينا عليها أم أننا كنا خارج الزمان سكارى بنشوة الحب وسنواته الأولى ليبدأ ذلك التعود ووقع الحياة السريع يسرقه منها لتمضي بها الأيام والأسابيع والشهور وهي تحس بذلك الفتور يتسرب الى علاقته بها وترى صورته كيف أصبح يثور في وجهها وهي ما زالت تحيا بصورته الأولى لا تريد أن تتخلى عنه يصب غضبه عليها ضعفه وإحباطه وجنونه وأفكاره العابثة يصبها عليها في كل فرصة تسنح له.

لماذا تقسو أرواحنا على من كانوا لنا أملا حين اقتربنا منهم؟!

في كل مرة يتفوق عليها ويشعر بالنصر حتى صار سيدا وتحولت إلى جارية ، صار وحشا ولم تكن هي جميلته ، حتى ثار ثورته تلك ، فبدأت تخرج من قوقعتها ، لم يكن يعرف أنها تراقبه بقلبها قبل عينيها وأنها تحس بوقع روحه قبل أن تنبض تلك الروح بخطيئة ، تتجرأ ، تنظر، تشعر ، وتتمادى بالشعور والتفكير. فهذا مالا يعرفه الرجل عن الأنثى ،إن لها غريزة وبصيرة تستشرف لواحظ قلبه قبل عينه إن أرادت أن تتغافل

عن زلاته فستفعل ولكنها لا تقدر على ذلك غالبا إن شعرت بالكسر الذي لا يجبر .

أصبح يختلق المشاكل كل يوم لضيق في صدره يقبع هناك لأنه سمح لعينيه أن تنظرا لغيرها وراودته نفسه وشيطان تجلى أمامه بصورة امرأة فاستجاب هو وسقط في أول اختبار له ، الحياة مفتوحة على مثل هذه التجارب تحتاج لأكثر من القول أحيانا، ربما توقعته أكثر صلابة وصمودا أمام نزوات وهفوات الحياة .

صحوة

لطالما حلم معها أن يكبرا سويا ليصلا لذلك العمر الذي تبقى هي فيه شمسه وعاهد وقال وصال وجال ورفع عقيرته فأنشدها شعرا ونثرا وضحك معها كما الأطفال .

إنها سقطة منتصف العمر أو ما يسمونه نزوة، لم تعرف عنها الكثير لكنها تذكرت كم سمعت نساء يذكرنها ويرددنها أمامها لم تكن تعرف شيئا عنها ولم ترد لفضولها أن يعرف هل كان عليها

أن تصغي لثرثرة النسوة والصديقات؟ ولماذا وقد كانت حياتها أبعد ماتكون عن ذلك ؟!

لم تشاهده يبدل ثيابه بكثرة ويتماهى بأناقته لكنّها تذكرت "إنه يفعل هذه الأيام " لقد صار يرتدي ما كانت تلح عليه أن يرتديه سابقا "هل تغير ذوقه" ،إن يفعل فهذا سيعني كثيرا !!

خيل إليه انه وجد شيئا أدخل في قلبه سرورا كذلك الذي يعيشه طفل ، فكر في نفسه "ألا يحق له أن يعيش حياته مجددا كما يريد ؟؟ وماذا يمنع أليس هو بشر أيضا ويستحق أن يحقق أحلامه !! ولكن أليست حياته التي يعيش هي أحلامه أيضا !!ألم تكن افضل ما يمكن أن يحلم به يوما ؟!ماذا يحصل هل يتغير الأنسان هكذا بسهولة ويجري وراء سراب....أتراها حقيقة أم خيال ؟!"

وبمزيد من تردده وحيرته التي صارت واضحة على ملامحه أصبح يسخّر كل شيء حوله ليعيش الدور ويتلمس ذلك الشعور يضطهدها حينا ويتحايل عليها أحيانا لتتساق معه وترافقه حيث يجد ملذاته ونظراته وأفكاره الخاطئة يصحبها معه لحفلات الشاي أو يقيمها في منزله ، عاد مراهقا ، نسي عهده وقلبه

وغيبت روحه عن كل جميل ،يواعد هذه ويهاتف تلك ، وعلى مرأى ومسمع منها ، حتى الأماكن والطرقات أصبح ينتقيها ويظنها لا تشعر يقتلها برصاصات مميتة لكنها تعرفه أكثر من نفسه ،وهاهي تفكر " كيف سمحت له أن يتمادى !! إنه يخدعها ؛ تلون وكذب كثير يتقنه ببراعة "

حين يهرب منها ويخفي عليها يسقطها في حيرة أكبر من حيرتها في شخصه .

وثقت به إلى حد الغباء وإلى حد الحب الأعمى بينما يسقيها جرعات من خداع ، أشفقت على نفسها وقالت في سرها "ولم لا أفعل وأكون مغمضة العينين أكان ينبغي علي أن أكون رقيبا!!"

حين يسقط في وحل حيرته واختلاط مشاعره وعقله المخمور يذهل عقله فيذهب به ولا تعرف الى أين وهل يذهب قلبه ايضا؟؟

حيرة ممزوجة بخوف لا شك أن لديها ما يجعلها تتمسك به ، ليست قصتها في حبه كأي قصة ربما أنه لا يخلو من الخير فالخير والشر يتصارعان ليس في عقلها وحدها بل في عقله أيضا ولا بد من غلبة لأحدهما على الآخر.

كانت ترى فيه ذلك الجانب الخير الذي سينتصر على شره وتكون له الغلبة يوما ، هل كان عليها أن تكون ملاكا رحيما يختلق له الأعذار دوما !! مرت بها الأحيان تلف في دائرة من حب وكراهية. كرهت نفسها أحيانا لأنها تعطيه ذلك الغفران وأحبتها حين استطاعت أن تتسامى على كل جراح قلبها كي تعيش قصتها ويعود إليها. أعجزها كيف يفكر وأين يذهب؟!

يسمعها كلمات وعبارات ويجرجرها إلى جحيمه بعذابات نفسية وجسدية لكنها أضحت تدمنه متمسكة به رغم كل شيء .

حين تزورها جارتها لا تفتئ تفضفض لها عن خلجات نفسها وهي التي لم تتعود ذلك يوما ، لكنها امرأة أيضا ترغب في أن تبوح .

إنه البوح تعودت أن تبوح بمكنونات نفسها وتعبر وربما صارت تثرثر فذلك ما كان يخفف أوجاعها .لقد قررت أن تتجنب أخطاءها وتبتعد عن تلك الصورة الملائكية التي كانت تضعها لنفسها لتسير عليها وهاهي كلمات جارتها مرشدة لها حين قالت " قرأت مقالا في تلك المجلة التي يحضرها لي ابني في إجازته الصيفية تركز على أن المرأة ينبغي لها أن تجد من يدعمها دعما معنويا من مثيلاتها من النساء "

"هزت رأسها موافقة " فيكفيها ما تجرعت من خيبات في طريقها الملائكي ذاك . وتفكرت في نفسها وقالت

"كثيرون هم من يتسترون وراء جدار الكتمان يقتلون انفسهم من أجل صورة جميلة في عقول الآخرين وينسون معها أنفسهم ولا يشعرون إلا وقد أعجزهم صمتهم والكتمان الذي يعيشون."

هزت جارتها رأسها موافقة على كلامها وقالت لها "عليك أن تهتمي بنفسك أكثر وتنتبهي لكل تصرفاته "

كانت كمن فتح نافذة من أمل على واقع ينبغي له أن يتضح .

وها هو حين تأتيه تلك الصحوات يعود لاتزانه المفقود ، يعاتبها بلحن شتاء قديم ويتقرب إليها يصارع شره وينتصر فوقه ، تعود تلك الروح الجميلة التي كانت تلتمسها لإستقبال صحواته.

يتملكه ذلك الشعور بالذنب حين تنظر إليه. لحظات من عدم النسيان من الحساب كيف لنا نحن البشر أن يحاسب بعضنا بعضا!؟

حين يتناقشان يتجادلان

يقول لها: زجاجة عطرك التي أهديتها لك في عيد ميلادك لا أراها أين هي ؟

تجيبه بنبرة متبلدة "وما حاجتك بها "

لتأتي إجابته "أحب أن أراها و أشم رائحة عطرها الدخاني الذي يذكرني بك يا سلوى "

لم تتهيأ هي لهدوئه بعد ولم ترغب في أن تتفهمه عملا بوصية جارتها

ترد في نبرة تفوح منها رائحة عناد وغيرة ممزوجة بغضب "...أما زالت تهمك؟؟ لقد تهشمت كما هشمت قلبي وسال عطرها ليبلل كومة أوراق تقبع في تلك الزاوية في غرفتنا [مشيرة إلى سلة المهملات] التي ما عدت أحس أنك داخلها" وساد صمت مطبق

أردفت "اذهب لتشتم رائحة تلك الأوراق لعلها تعيد لك رشدك "

لم يعلق و استدار متجهما غاضبا تسمع وقع نعليه يخطو نحو جحيم آخر، يتركها لوسواسها ،لأفكارها ، تتصارعها الحيرة من جديد ، تقول له في سرها وتطالع ورقة خطتها يدها بحبر قديم " أيها الزائر بيتنا بتجهمه وروحه المتعالية ...أيها السيد الذي يرى نفسه فوق البشر، كفاك تعاليا و غروراً وعش كما شئت فلم تعد روحك تلك الروح التي سكنتني ، وحتى ملامحك لا أجد ما يذكرني بها ما زلت تقتل أحلامي على بوابة غطرستك نعم أنا امرأة أتقنت حبك وانقيادها لك لكنك قابلتها بالخذلان وجاء خذلانك مرا!! جعلني أتمنى الموت ولا أجده ، عش كيف شئت فلقد مات فيك ما كنت أعرف .

ربما هي من ذلك النوع الذي يعيش الحياة بحس عميق ربما لم يكن هو بذلك السوء وقد تكون حالمة. امرأة تحلم بالهدوء تحلم بالحب الطاهر الجميل ؛ تتمنى لو تلملم أجزاء روحها و تقتطع تلك الخطايا و تقصها كشريط مهترئ من حياتها لأنها ما زالت تعتقد أن لديها ما تستحق أن تعيش لأجله .

أمل

كان هاجسها في طفل تنجبه ، مولود يعطيها نفسا و عبقاً جديداً للحياة يحتضنها قبل أن تحتضنه يكون لها أما ووطنا قبل أن تكون هي كذلك .

ذلك الحلم الذي تتمسك به يستحق أن يعطيها دفقا جديداً لتلون حياتها الرمادية بخيط وردي.

جلست على مقعدها تنتظره كما تنتظر الجدات أحفادهن مفرغات من الأمل . استرخت على ذلك المقعد الخشبي الذي رغم حداثته يبدو متآكلا ، وحين يبدأ الغسق تنسل خيوط الظلام لتجتاح المكان ، تتقرفص هي منحنية الظهر كعجوز، متجهمة الوجه،محمرة الوجنتين والأنف، بارزة العينين ،تنظر وتنتظر عودته مساءًا مثقلا بعوز الحياة ، و هموم العمل الذي يستمر أياما وينقطع شهوراً. تحسست وجنتيها بيديها نظرت إلى خصلات شعرها أحست بالذبول يجتاحها كعاصفة خريفية تقتلع ماء الحياة من روحها لتتركها بائسة على قارعة الحب.

ليس لديها كثير عمل تقوم به بيت صغير تفرغ فيه شحناتها ووحدتها تلفه كنملة تخبئ طعام الشتاء . رائحة الحساء الذي تصنعه تنطلق من النافذة لتستقبل ذلك الرجل قبل أن تدق يده باب البيت ، يدخل بضخامته و تقاسيمه المتجهمة يحمل غضبه بين عينيه صامتا ، لم يطرق سمعها بسلام حتى ، يجلس إلى مائدته يخلع نعليه الثقيلتين المصنوعتين من جلد زهيد الثمن.

تنفس هي عن غضبها:" لقد تأخرت ، أنتظرك منذ ساعات ،

يرد بوتيرة متهكمة ":يبدو أن من يحيطون بك جعلوك تعتقدين أنك شرطية أو حتى امرأة استثنائية !! الاستثناء يا أنت -جردها من اسمها فأصبحت نكرة- يكون في وجه بشوش يستقبل به الزوج حال عودته من العمل

ترد عليه بغضب "أيكون هذا جزائي منك"

وبإعياء يكاد يسقطه أرضا يصيح بها "تعيدين وتزيدين في كلام لا يشبهك انتشر في عقلك هاجسه فتلوث فكرك وأصابك الجنون ، لقد سئمت عيشك !! انظري إلى نفسك كأنك عجوز شمطاء غلفها اليأس ، سأستجلب غضب الله عليك لأنك تكدرين صفو خاطري بكلامك وصورتك هذه !...تبا لك "

ترد قائلة بذات النبرة الواثقة " ما زلت تحيا بنفس العقل والفكرة التي تسيطر عليك ؛ هي الأنثى التي يجب أن تقبع في جب ذلك الرضى الذكوري وإن لم تحصل عليه فقد سقطت في غضب الله!! .. من قال لكم أيها الرجال أنكم أوصياء الله على الأرض؟؟ ومن قال أنكم من تمنحون صكوك الغفران ؟؟ اطلبوه لأنفسكم قبل أن تمنحوه لغيركم " واستدارت غير آبهة .

لم يعجبه قولها وما زالت عباراته وصورته التي يتشكل عليها حين يصمت وحين لا يرغب بها تبدو واضحة في صمته

وعينيه الحادتين ، لم ينطق بكلمة !! قام ليجلس إلى نفسه كعاداته الكثيرة التي اكتسبها مع الوقت ، ربما لإحساسه بروتين الحياة ، ولبحثه عن أفراحه وملذاته داخل عالمه الوهمي ؛ العالم الفصامي الذي يعيش فيه معربداً على رقصات هاتيك الجواري اللاتي يتحركن بنسق واحد حول فسقيات مائه كما في الأساطير الشرقية ، يعيش معهن أسوأ عصور الظلام التي تستعبد جسد الأنثى ، وتنتهك بفوضاها الصغير والكبير في سلسلة بشرية جماعية منتحرة ومحترقة على أبواب عصرها .

هي قصة رجل وامرأة منذ بدء الخليقة؛ تكشف ما وراء الأقنعة مع أنها شفافة لا تخفي شيئا.

ليست الحياة مقتصرة على علاقة بين اثنين ، رجل وامرأة؛ لكن هذه العلاقة هي التي تدور حولها الأفكار ، وهي التي تكوّن الشعوب ، والتي تقام لأجلها الحروب .

مشاعر تحطم قلوب أناس لا يستطيعون أن يكونوا جميلين كما لا يمكنهم أن يرسموا الجمال ، وحتى أن يعيشوا بوطن جميل ، صورة تتكرر في بيوت كثيرة يسودها الصمت والكتمان والكراهية؛ كيف لها أن تصنع مجتمعا رحيما محبا، فشل داخلي في بؤرة الحياة واذا بالفشل صار جماعيا.

قد يكون ذلك الحزن الذي يغطيها يزيدها تعلقا بالحياة واستعدادا للصبر وأن تحيا كجدار صلت في بيت لا يغلفه الدفء .... الحب والحياة وأشياء أخرى تجتمع في صورة شخص أحيانا وفي كل منا جزء من ذلك الشخص .

تمر بها أسابيع وشهور حتى يفكر أبوها بزيارتها ومن الجيد أنه يفعل!! ذلك الرجل الذي صاغته أيامه بشخصية الرجل العسكري الدقيق المنظم الذي ترتجف اوصال من حوله .

ذو الهيبة والصوت الرخيم هذا هو ما علق في ذهنها من صورته القديمة حين كان متزوجا بأمها. الضعف أحيانا يكون مبررا لتسلط قساة القلوب على من حولهم . حين ماتت أمها وكانت قبل موتها تتردد على تربة البلدة التي دفنت فيها والتربة هي مترادفة لكلمة مقبره يجدها الناس أجمل وقعا على النفس . كانت حين زيارتها تسمع أصواتا كما العرس .. موكب يزف في ذلك المكان كلما زارت تلك التربة سمعت تلك الاصوات حتى عشقتها فترجع وتقصها على من حولها من الصديقات والجارات وكانت هي لا تزال صغيرة تسمع أحاديثهن ، وقد

يكون ذلك الوصف في مخيلة كل واحدة منهن هروبا من واقع لا ترغب أيهن بأن تعيشه فالأسطورة والخيال جزء لم تتخلص منه حكاياتنا الشرقية وصار جزءا منها فللأسطورة وقت تشيع وتتشكل فيه فتحفظها ذاكرة الصغار الذين يجلسون وينسجون القصص والحكايات حول ما يسمعونه؛ حمار يتجول ليلا ينتعل حذاءً معدنيا يترك أثره في الطين يسمونه الكرسايه ، امرأة تشعل تنورا في أحد البيوت المهجورة ليلا وعابرة سبيل توقف السيارات المارة ليلا في الدروب تحمل وجها شيطانياً ، دابة تسكن مقبرة البلدة تتكلم كما البشر. وأمها في موكب من الدفوف والأهازيج يزفها في ذلك المكان .

هي قصص أبطالها من النساء غالبا أو الحيوانات فما هو سر البطولة النسوية في مثل هذه الحكايات ؟!

ومزيد من قصص تحلق بها عقولهن من خوف واقع إلى خوف في عالم مجهول . كانت هذه من ذكرياتها مع أمها وأبيها الذي أضحى رجلا غير الذي تعرف ، فزوجته القاسية القلب تفرض نفسها وحضورها عليه بقوة و شراسة ، قد تكون هذه عقوبة له من الله لظلمه لأمها وقد يكون هذا هو شقه الضعيف الذي لم يظهر طوال تلك السنين يلحّ عليه بالظهور.

جاء إليها يحمل أرغفة من خبز لم يتخيرها سوى أنها ساخنة في برد الشتاء وكانت تلك سنوات دقت فيها الحرب نواقيسها .. شهر على بدء حرب قاسية لم تسمع عنها سوى في الحكايات أو كتب الدراسة بعد أعوام من سلام خارجي تعيشه تلك البلاد؛ حيث كانت الحروب تحتل مكانا آخر تحتل نفوس الناس يأكل فيها القوي الضعيف والكبير الصغير وفساد عظيم بلغ مرحلة من الطغيان لم يعد له حل إلا بوحشية الحروب وضراوتها فكيف تسترد النفوس المقهورة الضعيفة قوتها وكيف لها أن تعيش وأن ترى النور ما لم تبذل من

دمائها وأرواحها لتسقي تراب ارضها ؟؟؟ كانت تتقاسم احتساء فنجان القهوة مع سهاد؛ إنها هامة وقامة في الحي في معرفة شؤون الحي وأخباره والتندر بها .

قالت سهاد: الجيران والمعارف.؛ حكاية أخرى أنظري إلى أديبة جارتنا التي تلاصقنا !"

".... ما بها أديبة ؟ قالت سلوى."

سهاد: " إنّها امرأة تفوح عنفوانا وحدة في وجه من يعرفها ، تصنف البشر وذات كبرياء وكبر ، تحيا بطبقية من العصور الوسطى مرهقة في مشاعرها وكأنها ساحرة شمطاء تفرض على بناتها نظاما جبريا في طريقة (تنهض من مقعدها وتقلدها)

مشيهن أكلهن وحديثهن؛ لا تجلسي وأنت منحنية ، ضعي رجلاً على رجل ، ارفعي رأسك وأرنبة أنفك عند الحديث ، رققي طبقة صوتك حتى تفتني بحديثك ....تبا لها!

سلوى بتهكم "لم يبقى إلا أن تقول لهن العقن الغبار الذي يقطن في زوايا انوفكن"

تسترسل سهاد وهي تزداد انفعالاً " أستاء حين أتذكرها وأتذكر تلك العجرفة التي تكمن في عقلها وكأن الدنيا و معها الجنّة لها ولسلالتها و عرقها الذي لا يشرفني أن أتعرف إليه ...إنها مريضه بالنرجسية والتعالي وكم هنّ كثيرات من يشبهنها من معارفي وأشاحت سهاد برأسها حين لاح شبح الرجل من بعيد ولم تستطع أن تكمل حديثها الدؤوب والمتكرر عن أدبية.

سلوى مفكرة في سرها " لا شك أنّ كثيراً مما ذكرت موجود في شخصها لكنّي أعتقد أنّ سهاد لو تمكنت لصارت صورة أخرى لأدبية هكذا هم الكثيرون يعيشون فقط من أجل أن يلاحظوا ولا لذة لهم إلا حين يقرعون الآخر حين تعرفت إليها كانت أكثر طيبة لا بد أنّ الأيام تغير النفوس وددت لو ألقنها هي وأدبية درساً لكنّي كما الآخرين أستقبلهن وأودعهن بوجه طلق وابتسامة ، لا أدري هل هو نفاق أم عادة؟!!

لاح شبحه من بعيد كرجل عسكري بزيه وحتى أولئك العسكر بزيهم أصبحت ملابسهم مهترئة بعد تقاعدهم ولزومهم البيوت صاروا يخافون الخروج في الطرقات.

إنّها الحرب؛ موت جماعي و جثث متفرقة هنا وهناك لا سلام داخلي ولا حتى أمان .

تمنت هي لو كانت جلاداً يقف في وجه من كابدت وعانت منهم ، تمنت ذلك بصدق لتذيقهم مرارة الخذلان!! وتذكرت أنّ الحروب صناعة أيدينا فكرة مبدأها الشيطان غواية من النفس... لها أوان تأتي به ولها أوان تذهب به . هكذا كانت تفكر وذاك الرجل الذي كان يعربد ويتيه عليها بذكورته كانت معه لا ترى من يفوقه ظلما وقسوة؛ صورة أخرى للحرب . خارت قواه لم يعد يرغب بحياته ، فضعاف النفوس الذين تأسرهم حياة الفوضى ورغد العيش لا يتصبرون إنّهم أولئك الذين ليس لهم عهد مع أوطانهم .

كان يدخل ويخرج وهي تعرف أنه كصاحب الوجهين لا يستقر على حال يفاجئها كل مرة بمرارة أكبر من أختها .هذا الرجل الذي يعيش الخيانة والجبن بأبشع صوره ، تربة خصبة لخيارات العدو في الحروب جاسوس متآمر على تراب وطنه فروحه لا تصبر على ملذاتها .

ماذا لو كان هذا كله من صنع أفكارها ، من منظورها؛ حينما كانت هي الوطن وقبلت بخيانته وغفرت له كان هذا خيارها لكنها الآن تصارع نفسها ، إنّه الوطن ... التراب الذي لم يخذلها يوما و تربت على حبّه ، تراب شكّلها وصاغها وألهمها حبا وصبرا فهل تغفر له مرة اخرى؟هل من حقها أن تمتلك ذلك الغفران والتسامح وتتستر عليه(هل تزاود على نفسها بحب الوطن راغبة في الانتقام)؟؟أطفال يموتون نساء تترمل ورجال يباعون ويشترون وآخرون يستشهدون في جبهات القتال وذلك الرجل لا يتغير ومثله الكثيرون .

أبوها صورة لرجل آخر متآمر في نظرها ونظر الكثيرين لكن زيه العسكري وضعفه الذي خرج أمام زوجته تدارك فيه ما يمكن أن ينحدر إليه الضعف البشري والعوز والشر والبيئات التي لا تجرم أفعال هؤلاء فتقودهم إلى الهاوية .

باتت أصوات القنابل والدخان المتصاعد ورائحة القتل والأجسام المتعفنة كل يوم تروي قصة في المكان . تلك الأرض التي عاشت بسلام . لم تعد تعرف معنى السلام !! تسقى بالدماء في كل صباح ، لقد تسلل الحزن والكآبة إلى روحها فلا شيء يلوح في سمائها يعطيها ذاكرة للمستقبل .

صارت تنتظر موتها كل صباح .. ليتها تنفجر بعبوة ناسفة أو تموت بشظية طائشة فتستريح في منامها وتنطلق إلى عالم تعيش فيه الحياة كما أحبتها أو كما تصورتها هناك حيث لا مكان للدماء ولا للخطيئة .. ماذا لو ماتت!! فكرت : هل سيلفظها التراب ولن يقبلها ؟؟ روحها القلقة شديدة الحساسية تحاسبها و تأكل الأفكار رأسها كما تأكل اليرقة أوراق الأشجار. صار يغيب عن بيتهم الصغير ولا يعود بالأسابيع تعيش وحيدة لا يصاحبها إلا فكرها وهواجسها.

هجرات جماعية و فردية من ذلك الحي وذلك المكان هروب بالجملة ، هاهي رائحة الشتاء على الأبواب حيث يشتد البرد والمطر والثلج أحيانا ويستمر لأسابيع ليصبح الحصار حصارين ولا مكان لتامين الغذاء والدفء خصوصا لمن يعيل أطفالا و مسنين هي لا تعيل أطفالا ولا مسنين ولا خيار لها بالرحيل وهو صار يبتعد أكثر فأكثر فروحها المنتقمة تتقد حنقا وروحها المتسامحة تتمسك بخيال من تحب لا تخلو الحياة من صراع

جاءت إليها تودعها إنها جارتها كثيرة الشكوى صاحبة الأخبار انضمت لركب المهاجرين تحدثها بوجه عابس" سأرحل إلى ابني حيث يعمل في بلد عربي ، استحصل على فيزا واستقدمني لقد تغيرت الحال لم أعد أشعر بهذا المكان ، اكتظ وهرم وخطه الشحوب والفوضى "

كانت كلمات جارتها تنحدر بسلاسة ذكرتها بالمربية الفاضلة نعمت قبل عشرين أو أكثر من السنين قالت في سرها"من أين جاءتها الفصاحة كيف أُلهمت تلك الكلمات ولم تخنها الذاكرة !!

تابعت سهاد :"صارت الشوارع متقلصة الحجم وغير منتظمة المعالم (بلادنا وما يكسوها من فقر وفوضى) هاجر ابني منذ زمن كما تعلمين لم نختر له ذلك أراد أن يبحث عن فرصة عمل كنا نخشى أنا وأبوه من أن ينشئ أبناؤه في تلك البلاد لا يعرفون من هم ولا هويتهم ، يبدو أن الهوية لا ترتبط بالمكان ، إنّها مرتبطة بمعرفة كيف تحيا بكرامة ، كنّا نخشى أن يجتاحهم النسيان يبدو أنّ النسيان يجتاحنا نحن أيضا !!"

بقيت سلوى مطأطأ الراس تستمع فقط تسترسل جارتها" كنا وأبوه نخشى من جيل لا يفقه شيئا عن أصله تماما كما النبتة التي اجتثت من جذورها ووضعت في ماء لتبقى حية."

قاطعتها سلوى "حتما سيحين أوان ذبولها هذا ما تقصدين؟"

فردت قائلة "قد نكون في ذلك الحين نحن من ذبلنا أو ذبلت الارض من حولنا "

و بقيت تتمتم و تصف ذلك البلد الذي ستهاجر إليه إلى أن انصرفت مهرولة بعد أن تم استدعائها فقد وصلت السيارة التي ستقلّهم إلى المطار تبدو فارهة إنها سيارة أجرة يزفّها أولاد الحي ويتراكضون خلفها هذه طقوس نراها كثيراً هنا.

لا تخلو الحياة من صراع و معاناة .

انتقام

حين يجتمع هو بأصدقائه المخمورين المغيبين يتبادلون الشتائم قبل الآراء لا تعرف من منهم المتآمر ومن منهم الذي يحمل هم الوطن زمن عجيب الكل ينظر والكل يبدي رأيه إنه زمن الرويبضة هذا يقول" تعسا له من تراب" وآخر يقول" ماذا قدمت له حتى يقدم لك" يأتيه صوت من بعيد " أنت تدافع لأنك مأجور يا ابن..... "سيل من الشتائم اللامتناهية !!

أيّها القابع في قوقعتك تتغشاك شياطين رأسك ألم يأن لك أن تحس بوجعك قبل وجعها ! ألم يحن وقت الصحوة بعد !؟ أم أن ضميرك وأنانيتك أنستك من تكون !!

صوت ضعيف لضمير محتضر لا يجد من يستجيب له ، وجع الأرض ووجع الأنثى لا فكاك تختلط حياتنا بكل جوانبها لتصوغ المشهد ، اختلاط بين المشاعر والجسد والأرض ورغيف الخبز والحرب والسلام والسياسة والوردة الحمراء في شرفة .

كانت سلوى قد سمعت من نساء الحي أن أبوها يخابر لمصلحة العسكر يتزلف لديهم ،علّه اشتاق إلى تلك البزّة العسكرية التي كانت ترمز لقوته ربما عاد يبحث عن شخصه القوي ، اشتياق من باب العادة ليس أكثر .

هذا ما دار بخلده وتعرف هي ما تعرفه عن ذلك الرجل زوجها. فتتالت الأفكار في عقلها لم لا تضرب هذا بذاك ، إنّه عقل المرأة عندما ترغب في الإنتقام جزء من الشر يقبع في كل منّا بعيدا لا يظهر إلامع الحاح الفكرة وقد ألحت عليها؛ الفراغ ، الهاجس ، الإنتقام وكيد النساء عندما يجتمعن مع الفكرة كان الفعل .

ذهبت إلى بيت أبيها بعد شهورمن الغياب لا تتذكر متى كانت زيارتها الأخيرة ، تجر قدميها جراً .

جلست إلى تلك الشرفة في بيت أبيها وعدم الترحيب باد على قسمات وجه تلك المرأة المتسلطة زوجة أبيها قالت في نفسها"بأي سلاح تسيطر مثل هذه الشريرة على رجل مثل أبي ،

كنا نرتعد خوفاً منه وأمّي المسكينة كان هاجسها أن تنال رضاه بأي سلاح ، أهو تعويذة شريرة أم خوف !؟ إنّه سر دفين أود لو يتكشف لي ، أو أن أقابل يوما من يمتلك الشجاعة من الرجال ليبوح بالسر الذي تمتلكه تلك النسوة."

طافت بروحها في المكان ، رائحة كل شيء تذكرها بأمها وطفولتها ومساءات الشتاء القديم وصديقات الطفولة وجارات المنزل ومراتع الصبا والكثير الكثير؛ حتى الذكريات لم تعد تمتلكها بالرغم من أنها تتملكها .

"لماذا تعشش الكراهية والبغضاء في نفوس الناس فتصبح متعفنة ذات رائحة تساءلت؟؟"

حين كانت على أعتاب المراهقة تخط يداها وقلمها أولى نبضات قلبها وجلسات جميلة لصويحباتها وحديث وقهقهات ورائحة الياسمين يفوح شذاها مختلطاً برائحة الفرن العربي عند الجيران ، على شرفة المنزل نظرت في الأفق وتذكرت " ذاك بيت أبو أحمد وذاك بيت أبو أديب تلك غرفة العزباء وهيبه ، ماذا حلّ بها وماذا حلّ بجارنا أبو نعيم ذلك الرجل الذي كان صديق أبي الصدوق ، كل مرة ازورفيها بلدتنا اتفاجأ بأخبار جديدة ..آه الحياة كما الطاحون لا تبقي أحدا على حاله بعد أن تطحننا تذرونا كما الرياح "

ماذا حل بذلك الرجل وزوجته ؟ ثوبه المزركش لم يمحى من مخيلتي لطالما كانت تلعب به الريح وهو معلق على حبل الغسيل ونحن نتراكض حوله أو نتسابق لنجمع قطرات الماء المتساقطة ، كان هذا أحد طقوسنا في كل مرة نراه معلقا .

آه الطفولة براءة وسذاجة !! والعم نبيل صاحب الدكان المقابل للمدرسة هناك أشخاص في ذاكرتك تستطيع أن تتذكرهم بملامحهم وتصرفاتهم لا أنسى تلك العائلة كثيرة العيال قليلة المال العوز باد على قسمات وجوه أطفالهم ترق لحالهم وتنسى نفسك.

يا لها من ذكريات حلوة حتى بمرها يرق لها القلب طربا ، نسيت ما جاءت لأجله ، مساحة الذكريات دارت بها إلى وجهة أخرى .

أيقظها صوت زوجة أبيها الرخيم ليعيدها من غفوة شرودها حين قالت بعجرفة "أين زوجك لم نره منذ أكثر من عام..؟!"

ملامحها القاسية جعلتها تبدو كساحرة؛ محدودبة الأنف حمراء العينين ، استدارت نحو أبيها وكأنها توجه له الحديث ثم قالت ورمت شباكها بالطعم :" أسمع من نساء الحي أنه يقابل جهات مشبوهة "وتلعثمت وأحسّت بالغثيان فاستطردت "لا ردّه الله لا أراه كثيراً لا أعرف ربما هو حديث نساء " واستجمعت

شجاعتها وتركت الأبواب مشرعة بطيبة مبطنة بمكر أنثوي استعارته من شخوص عاشت بينهم .

أحيانا نستعير اشياء لا تخصنا نقضي حاجتنا منها ونردها وقد تلازمنا وتصبح جزءًا منّا.

أبوها لاير يد أن يضرها ، لكنّ زوجته تبيع روحها لأجل المال وكأنّما عثرت على كنز تشتهي أن تشاهد ألم أحدهم إنها صنيعة الفساد تبيع أقرب النّاس إليها ظنا منها أنّها ستحظى بالسبق في كل شيء وفي الحقيقة إنّها كمن شاكلها صنيعة للفساد المجتمعي صنيعة التردي والإنحطاط في كل شيء.

والتقفت الخبر وقفزت ترتب أفكارها وحيلها تزيد جملا وتزين أخرى واقنعت الرجل بالوشاية بزوج ابنته ، وكان لها ما أرادت.

حين عادت سلوى أدراجها رأت ضوء يتلألأ في شباك غرفة الجلوس فعرفت أنه عاد فتباطأت في المكان خوفا وكرها فيما فعلت ، سارت حتى وصلت وفتحت الباب ونظرت نحوه فقام يصرخ ويعربد ويضرب الأرض برجله كثور هائج ناعتاً إيّاها بأبشع الصفات والشتائم القذرة وانطلق يحمل كرسيا بيده يهم أن يهوي به فوق رأسها...وهي ترتجف وتصيح خوفا فهذه إحدى فوراته التي اعتادت عليها وتستطيع قراءتها. وكأن شيطانا يلعب برأسه بل هو الشيطان بعينه أسرّت في نفسها لم يكن

يوماً يستغني عنها لأنها ذلك الكائن الذي ينفس عن غضبه وحدته وكرهه ولحياته وربما لا يستطيع التخلي عن ما هو اضعف منه .وبحركة سريعة منه يرفسها ويركلها ويكسر بقايا قلبها وعقلها بشتائمه ليأتي صوت الباب وهو يقرع بشدة كأنّه يكسر ليفوق من غيبوبته وترتاح هي من جحيمه.

يفتح الباب ويتدافع مجموعة من العسكر يسحبوه بينهم وهو يشدّ ذراعه منهم فيقسون عليه ويجبروه وهم يصرخون به ويمطرونه بالشتائم ، بكت وأحمرت عيناها وأرادت أن تصرخ بهم أن يتركوه لكنها صرخت في نفسها وفكرت "ربما هي تبكي وجعها؛ لكنها عادت وضحكت في صورة هستيرية مذهلة أنقذوها من جحيمه .

أحست أنه آن الأوان أن تتغير وأن تكون قوية وأن هذا يجب أن يكون جزاؤه على فعله معها وليس منذ اللحظة هذه نقطة فارقه في حياتها .شعرت بالوحدة أكثر وأنّها تشابههم إلى حد ليس ببعيد لكن فيها لذة الإنتصار فليس بعد النفس ، يجبرك الآخرون أحيانا أن تنحدر بنفسك نحو الهاوية. الحياة قاسية تحتاج منا للتمرد والخروج على قوانينها في أوقات كثيرة...يختلط على الكثير منا أحيانا الشر والخير الحق والباطل العدل والظلم كل طرف يزين لنفسه ما يراه حقا وخيراً.

أخذوه في ذلك اليوم وأبرحوه ضربا من أجل وشاية ، إنّه الفساد مرة أخرى لم يتمكنوا من أن يجمعوا ما يثبت عليه بأنه

يخابر لمصلحة العدو ضربوه فما عاد يقدر على السير وأعادوه من حيث أخذوه .

وجدته صباحا ملقى على باب المنزل لا يكاد يتحرك قدماه لا تحملانه يأن من شدة الألم كمن فقد ذاكرته وأنعقد لسانه ... منكسر النفس والخاطر سحبته بمساعدة أحد المارة وأدخلته إلى حيث فراشه وجلست تطببه .

أحياناً نحن من نسبب الألم لأنفسنا ونحن من نعالج هذا الألم غريبة هي الحياة تجعلنا غرباء حتى عن أنفسنا ،لم تتوقع أن يعيدوه بهذه السرعة يبدو أنّ حضّها من العبودية أكبر مما تتخيل ، العبودية لها صور وأشكال وهي تعيش إحداها أمّا هو فانكساره وهدوءه غالبا ما يكون لحظياً لكنها كانت ضربة موجعة هذه المرة .

ما زالت تحس بداخلها بشيء ينتشي ويتذوق آلامه أمامها ويحيطها أحياناً حذراً وحيرة.

انشغل هو بآلامه وآهاته المدوية في المكان مع أصوات القنابل والقذائف خارجا...وانشغلت هي بتنظيف المكان.

لكم تحب أن ترى انعكاس وجهها في الأواني والأشياء فقد شعرت بشيء آخريعلو ملامحها حين دققت النّظر أحست بتفوقها وضعفه وأنّ هذا ما انعكس على محياها وهالتها، لم تذق مثيلاً لهذا الشعور منذ زمن كانت ترى نفسها دوماً في

مكان آخر، أحبت التمريض يوماً وحلمت بأن تكون ممرضة تداوي الجراج والأرواح تقدم العون للآخرين ولطالما رافقتها هذه الأحلام في صغرها شعرت بنقطة اللاعودة شيء فارق في حياتها أصبح يسكنها تدور برأسها أفكار كثيرة ترغب بشعور يمنحها تمردا أقوى على واقعها.

أصبح الوقت يمر بطيئاً وثقيلاً ، أحبت أن تعرف أخبار أختها التي لم تسمع عنها من قبل الحرب بشهرين أو ثلاثة فهي لم تعد تذكر مضت فترة وهي تمنّي نفسها أن تزور أختها المريضة وتطمئن على أبنائها وشعرت بأن الوقت قد حان لقوة أحستها أمام انكساره فهو يغض طرفه عن أفعالها ولا ينبس بكلمة لأنّه يعرف أنها ملاذه الوحيد فضعفه الجسدي أفضى إلى ضعف داخلي واستغلت هي الموقف وتجهزت وألقت عليه الخبر وقالت:- "سأغيب طوال النّهار هذا الماء وكيس الخبز إلى جوارك وأحسّت بشيء من الضعف يتسلق جدار قلبها لكنّها أسقطته في بئر الإنتقام الذي حفرته في داخلها وتذكرت كم من الليالي تركها لوحدتها حتى ملتها الجدران وكاد ينساها الزمان ، أحسّت بنفسها تتدفق بقوة من حديد، تود لو ترقص فرحاً وتفك ذاك البؤس والحداد النفسي الذي كانت تعيش فقد تحرر مارد الخوف بداخلها.

أطرقت حين تذكرت "راجية تصارع مرضاً عضالاً ، لقد انفطر كبدها لديها ثلاث بنات وولدان تسعى على لقمتهم تسكن

معهم في بيت واسع هو ما تحصلوا عليه من تركة أبيهم الذي غادرهم منذ ستة أشهر والذي تبين بأن تركته لم تغطي ديونه حتى البيت مرهون للدولة في أي وقت يخرجونهم منه ليتلقفهم الشارع حتى الشارع أرحم من زوجة أبي ذلك الرجل زوج أختها كان وجوده كعدمه، يكبرها سناً عشرين عاما وأكثر ، تزوجته طمعاً بما لديه من ثروة وفراراً من زوجة أبي وقسوتها شيء أفضل من لا شيء .

تبعثر مال هذا الرجل بعد وفاته قسمة اختارت أن تكون فيها فضاع شبابها مع رجل بسن أبيها انتظر منها عطفاً لكنّها أحبت ماله فكانت صفقة خاسرة إلا من عبء أسري تجسد بأولادها وحاجتهم....فأصابها القهر فانفطر كبدها ومرض..

كل منا يبحث عن حياته بطريقته وحينما لا يجدها عليه أن يتحمل اختياراته ولا يعلقها على شماعة الزمن وعلى الآخرين لم تشعر سلوى بنفسها إلا على عتبات بيت أختها طرقت الباب فُتح الباب لقاء ودموع وأحضان واشتياق فن تتقنه النّساء وبوح يقابله بوح..

مثقلتان بالهموم وذكريات طفولة غادرت ألقت صخرة من ألم وحملت أخرى من أختها ، مازالت تثقلها جراحها وجراح أختها وذكريات أمها وأبيها وأخيها وذلك الزوج وأشياء كثيرة لا تبوح

بها عندما يخذلك الآخرون تشعر بكم كبير من القهر وجوه لا تعكس ما بداخلها تقتل وتسرق أحلام الآخرين وسارت في الطرقات وسط زحام شديد شاردة الذهن منهكة القوى واقتربت من بيتها وهي تشاهد ما أحرقته نيران الحرب وخراب امتدت يده الى كل ما هو جميل الجمال والمرأة وجهان لعملة واحدة كما الحرب والدمار.

وصلت وفي خاطرها من يرقد هناك لم تعد تعبأ بمشاعرها فحين ترى آلام الآخرين يهون عليك ألمك وتصبح صاحب قضية أناس يموتون وليس الموت إحدى خياراتهم وآخرون ممزقون بفقرهم وتشردهم وغيرهم يموتون وهم أحياء بذلهم وقهرهم....على الأقل لديها ما يستبقيها منزل ومقربون لم تفكر هكذا من قبل أهو ضعف أم قوة لم تعتد أن تتنازل عن الحقوق من أجل الأمان لقد رغبت أن تنال الإثنين معا نعم تريد الأمان والحقوق ليست ترضى بأحدهما دون الآخر ففيهما تحيا الأنثى وليس بغيرهما .

وصلت عتبة البيت فتحت الباب سمع هو صوت صرير الباب وسمع وقع قدميها ففي لحظات الضعف يصبح الحدس لدينا أعلى وهذه سمة لانقشاع الضبابية عن القلوب وتفوق الروح على الجسد.

هل يا ترى تصهر الظروف قلوب الرجال كما تصهر النّار المعدن لتصوغه في قالب جديد فتقدمه على طبق النقاء الذي انتظرته يوما.

سارعت بخلع رداء الخروج وارتدت لباس المنزل ألوانه كألوان قلبها وألوان جدران المنزل الباهتة الممشحة بالبقع الرمادية أحست أن قلبها كقطعة طوب تكمل إحدى الجدران تحركت وهي تهم بصنع الطعام كعادتها وأرادت أن تحافظ على صمته فقد مرت على حاله هذه مدة .

لم يتغير شيء ولم تكسرهي ذلك الحاجز أصبح يسير نحو الشفاء بجسده وما أن أصبح قادراً على السير من جديد حتى احتمل معطفه وخرج تمتم بكلمات :"روحي منهكة لا أستطيع أن أبقى ما أعرفه أنني خارج ولن أعود دخل حياتها دون أن يستأذنها وخرج كذلك لم يقل أكثر من هذه الكلمات لم يعتذر لم يعبر لم يشرح كانت تفكر أنّها لم تكسب منه شيئاً لتخسره وجلست إلى المنضدة متألمة لا تبرح كرسيها وانطلقت في ذكرياتها هكذا حتى أشرق الفجر وانبلج ...وداعبت خيوط الشمس صفحة وجهها وهي تحاول أن تستسلم للنوم ولكنّه ودعها وغادر أيضا.

هاهي الأفكار تتزاحم في عقلها وتضرب بعضها بعضايكاد عقلها أن ينفجر مزدحم بأسئلة لم تجد لها أجوبة بين قوتها

وضعفها يا لله أهكذا حياة كل النساء أم أنّه حظي العاثر وحدي !!

لا شك أنّها لحظات الانهيار التي تتغشاها في ساعات الوحدة لكنّها كانت تعيش الوحدة من البداية، ما زالت على جلستها لم تحرك ساكنا حتى الغروب، قررت أن تنتظره لكنه أخبرها أنه لن يعود ...! أن تبحث عنه لكنّه أخبرها أنّه لن يعود ..! لم تكن تريده ، لماذا تبحث عنه إذاً....؟! ألم تشتهي أن تتخلص منه وخططت لذلك ها قد خلصها من نفسه فلمَ تخدع نفسها!

استمرت على حالتها هذه حتى أحست أنّها تهذي به يا الله كم كنت مغفلة هل أحمل له كل هذا التعود والإشتياق؟ أم أنّها الحاجة، أم الحب، أم الضعف، أرشدوني ؟!

نسيان

حزمت أمتعتها فقد ضاق بها المكان فجأة حالها كحال جيرانها هجروا بيوتهم بسبب الحرب التي تشتعل خارجاً وهي تهجره بسبب الحرب التي تشتعل داخلها؛ خارجاً وداخلاً...أليست كلها

حروب وطأطأت برأسها؟ بعثت برسالة لأبيها وأرفقتها بمفتاح المنزل تخبره أنّها سافرت مع زوجها إلى مكان آمن في الحروب لا يتحقق الناس من صحة الخبرأملهم فقط في البقاء على قيد الحياة .

اتخذت قرارها والتحقت بفرق المتطوعات لخدمة الجند يطهين الطعام ويطببن الجرحى عملها في ظل هذه الظروف جعلها تشعر بنكهة أخرى ونسيت شيئا من آلامها بل تناست أصبحت في فرق المساعدة والإغاثة تساعد الطبيبات والممرضات وتقوم في المساء بطهي الطعام وبعد فترة من العمل والتدريب في المعسكر الذي التحقت به تمكنت أن تثبت جدارتها وثباتها فتم اختيارها من بين المتطوعات لينتقلن إلى العمل .

انطلقت بهن الحافلة إلى وجهة جديدة إلى جوارها في المقعد امرأة خط الزمن في كفيها قالت في نفسها "إلى أين تذهب هذه المرأة لم أشاهدها في المعسكر التدريبي...انها تبدو كهلة على مثل هذه الأعمال " سألتها " إلى أين وجهتك يا سيدتي "

فالتفتت إليها العجوز مجيبة بصوتها المتهدج كأصوات الجدات في الحكايات "إلى الجبهة إلى خط المواجهة " وأشاحت بوجهها إلى النافذة كأنها تكلم نفسها "حياة قاسية تنتظرنا "..وكانت الحافلة تسير في طريق جبلي وعر تهتز منه أجزاؤها كأنه قارب يتهادى وسط الأمواج نهضت إحدى الممرضات المسؤولات تعلوها هيبة الرجال ممشوقة القامة بصوت أجش

ورددت كلمات تبث الحماس في نفوس الفرقة ..وبعد سويعات وصلت الحافلة .

ها هو المحرك يتوقف وصرير باب الحافلة عند فتحها وقد علا أعلنت المسؤولة عن الوصول إلى الثكنات أعطت تعليماتها واصطف الجميع في طابور ودخلن المخيم كل واحدة منهن لها آمالها وآلامها ، منهن من فقدت عائلتها كلها في الحرب كتلك السيدة العجوز التي جلست بجوارها فقد عرفت عنها من الأخريات.

في الحروب صنوف من البشر يجتمعون في الدروب لكل منهم ما يشغله وهي كغيرها ربما كانت تبحث عنه وربما عن نفسها لم تعرف بعد.

حين حان وقت النوم وزعت عليهن أغطية صوفية خشنة وهناك على مقربة منهن تسقط القنابل وتفقد الأرواح في كل لحظة وقد يداهمهن الخطر في أي لحظة .

إنّها الأنثى حين تختار التضحيات قوية كأن لم تضعف يوما لكنها لم تعرف هل كانت ضحية أم مضحية ؟؟

أما هو فبعد أن اختار أن يغادر المكان وفي عقله لوثة ذلك الزمان أتعبه المسير لا يعرف الى أين يبحث عن شيء يطهر روحه ويريح ضميره ..نعم إنه الموت أو ما يعادله من الغياب فاختار أن يذهب هناك ليكون قريبا من الموت، ويأتي أوان

تضع الحرب أوزارها بعد سنوات غيرت معالم المكان والزمان ورسمت ملامح جديدة للحياة .

هناك حيث لا جبهة ولا قتال ليس لمثلها مكان يأويها لأنّها لم ترغب بأن تعود الآن ولماذا تعود ! خط الشيب في رأسها وأصبحت أمّا في ذلك المكان؛ أمّاً لأطفال لايعرفون من أين أتوا، شردتهم الحرب جياعاً بلا مأوى ولا أهل فكان نزل الأيتام منزلهم وكانت هي إحدى النساء اللاتي حظين بأمومة هؤلاء الأطفال المشردين، صارت ترعاهم وتفيض لهم حباً أمهم التي لم تنجبهم لا يهمها سوى أنّها صارت بهم جزءًا من المكان فرحت بهم وفرحوا بها لقد آن أوان أن تعوض حياتها التي فقدتها وأن تعيش من جديد فالدنيا تعطيك حضناً دافئاً من حيث لا تحتسب أحياناً.

أكثر من عشرة أعوام في هذه الدار أنستها أحزانها، هذه المرة كان العيد قريباً والأطفال ينتظرون بشوق وفرح يفرحون بالحلوى والهدايا والملابس وبكل جديد الحنان والحب والرعاية قد تعوض اليتيم أحيانا فمثل هذا الدفء لا يجده كثيرون في حضن والديهم وتلك البهجة في نفوس الصغار وعيونهم وابتسامتهم بالنسبة لها هي العيد نفسه.

أن تنتقل من حياة خاوية إلى حياة تحس فيها بمعنى العطاء أن تتناسى الماضي لتستمر في عطائك، شيء ما غطّى الذاكرة لا يريد لها أن تفتح .

هاهي أغاني وأهازيج العيد تتهادى عبر أثير الإذاعة وتبعث البهجة في النفوس ...لكن للعيد ذكريات أيضا تحيي الماضي من جديد فتذكرها بهم جملة واحدة ودون مقدمات .

لماذا الآن ...!؟ لأن لكل شي أوان"

ماذا حل بهم ؟؟ أبوها أختها زوجها" هي أسئلة باتت تطرق ذاكرتها ، لكنها نسيت أنّها لم تعد تحب أن تغادر الدار ملتصقة بها وما عادت تذكر من مدينتها غير اسمها .

لم تكبر إلى ذلك الحد لكنه الهجران صار ت تحدث نفسها بالبحث عنهم يتفوق الإحتياج والعطاء على الذكريات أحيانا لكن لابد من جولة تغلب فيها الذكريات .

إنها لا تريد أن تبعث ذلك الماضي في نفسها من جديد ...الحياة تحتاج إلى قرارات صائبة وشجاعة لا تحتاج إلى البقاء في ظل الرمادية.

التردد بين الحياة والموت هو الذي يخذلنا :" أؤلئك الصغار من تشكلت حياتها بهم أم تلك الذكريات والماضي البعيد ؟" إنها لن تفرط بهم.....الوحدة والافكار وقلق الإنتظار من جديد.
الوحدة في أفكارنا تشعرنا بالصقيع وعدم الرضا...قد يكون من حولنا هم من يصوغون هويتنا أو أنهم جزء لا يتجزأ منا ، من يصنع الآخر تلك حلقة مفرغه ؟!....قد تصهرنا الحياة فتخرج أجود ما فينا فيتملكنا زهو الإنتصار على النفس وهواها...في

كل يوم صارت تعتاد الجلوس في شرف غرفتها مساءً، تعود تفكرمن جديد من الذي سيحمل القرار وخيبات الأمل عنها ومن الذي سينتظر...؟ وهل سيطول الإنتظار سنين أخرى كتلك التي مضت أم أنّها ستمضي من جديد ...؟؟ تعود بنفسها للذكريات إنّه أوان تعود بروحها فيه للماضي وتتسع تلك الدائرة لتختلط بالواقع ترغب في البدايات حيث لا أحزان ولا آلام .حيث يمكنها أن تتجنب عثراتها في جلستها وحيدة وحيث تهب رياح الذكريات تحملها ريح خريفية تتسلل بعبثية من شرفة المنزل محملة ببعض رذاذ الرمل والتراب ..ورائحة أوراق الأشجار المشرفة على الوداع، تستمع لصوت ناي حزين يأتي من البعيد من بين تلك الأشجار التي يتوسطها عدد من منازل الفلاحين.

صوت شجي أطرب سمعها فكأنّها ترنيمة تتناغم مع نغمات الكون وحفيف الأشجار وهدير الشلال يحكي قصتها تدور معه لتغيب بروحهاعن واقعها باحثة في فضاءات الخيال عن ذكرى جميلة مرت بها...تستفيق على صوت أحدهم يناديها "ماما سلوى " لتعود إلى واقعها وتنسى روحها محلقة هناك .

لا تذكر أنّها كانت يوما شغوفة بمثل هذا ...آه ذلك الصوت العذب صارت تنتظر سماعه كعاشقة في خدر أفكارها .

يحيا بداخل كل منا ذلك العشق الأبدي وتلك الروح المتصابية التي تنكر فكرة الأيام إنها تنضج كما الجسد، لكنها لا تشيخ تنكسر فقط وتنطفئ بوهن.

القرار

في كل يوم صارت على موعد لسماع ذلك اللحن مع صديقاتها في الدار وكأنهن في دار الأوبرا فالحياة مجموعه من الرقصات يتقنها البعض منا لقد ابتكرن الفكرة وأصبحن كسيدات مجتمع مخملي وهي صاحبة تلك الأوبرا بل هي وذلك اللحن على خط بعد واحد في الذكريات.

خطّت الأيام في يديها تضاريسها وفي وجهها وملامحها فمن يرجع لها جسداً بات كهلاً من يرجع جذوة الشباب المنصرم وعمراً لم تقتطعه برغبتها بل سارت بها الأيام .

وكعادة الأيام في مسيرها تقطع بنا مسافات تبعدنا وتقربنا وفي بقعة أخرى وربما ذات المكان من يعرف هو من سيخبرنا عن نفسه : هومن يقص حكايته لها أشواقا في لحظات الغياب في موازاة الموت ذلك الضعف البشري والحسرة والضميرهل يتنفس من جديدهل عاد يبحث عنها أم أنّه لن يعود...؟؟!

يا لقساوة الحياة لمن يعود إليها مرغما إنّها تلقنه درساً، أضاء شمعة في محيط عتمته كما أضاء شمعة الرجوع في عقله

أيهما يحترق أسرع يا ترى الشمعة أم عقله ؟ ليجد نفسه في منزله المهجور عاد كالذين هبطوا من السماء عاد كمن غاب طرفة عين ، تماما كمشاهد ألف ليلة وليلة أهكذا تكون حياتنا سريعة كحكاية النوم للأطفال! تتحقق فيها الأحلام في المنام

أراد العودة فعاد هكذا ببساطة كما أراد أن يغادر ...القرار والفعل فقط ، إنّه ذلك النبض الجديد الذي وهبته له أيامه عطية من الله ، ربما عاد باحثاً عنها لأنه أيقن أنّه يتنفسها .

يا لبراءة ملامحها، حين يتذكرها وكأنّه لم يكن يراها أو يحس بها وترتجف يداه ألما على تلك الأيام التي ضيعها بأهوائه وممارسة قهره الملتهب ، هل نحن بحاجة أن نخسر من حبهم حتى نشعر بهم ؟! هل الفقد والإشتياق هوس بشري يولد العشق من جديد ؟؟

جلس على عتبة المنزل المهجور ورائحة الرماد تتصاعد من المداخن في البيوت المجاورة فنحن على أبواب الشتاء من جديد أشعل سيجارته وجلس على كرسيه ينفث رمادها تذكر أنّها لا تحب السجائر أطفأها ورمى بها بعيداً وعاد يفكر من جديد " دائما حياتنا صنيعة أفكارنا يمكن لأحدهم أن يحيا بمخيلته حتى وإن كان وحيداً سيقوده هذا إمّا للتأمل أو للجنون ...وشتان بينهما"

صار يستيقظ كل يوم ليعد النقود التي يخبئها ليشتري لها منزلاً جديداً كالذي تمنت وينتظر المساء محملاً بأشواق طفل وذكرى قديمة معها لماذا نبيع أحلامنا وننتظر عودتها في غير أوانها!! مرّ الكثير ، سنوات يبلى فيها الجسد " لقد تأخرت" ربما كانت لتقول له هذا عاد يخطب ودّها على عتبة ذلك البيت تغيرت الوجوه التي تسكن الحي فكيف لا تتغير القلوب لم يعد يعرف أحداً ممن يقطنون المكان جيرانه القدامى منهم من هاجر ومنهم من باع منزله ومنهم من توفي أو قتل في الحرب ، أحياء مهدمة وقرى ومدن تغيرت ملامحها لم يعد الأطفال يتراقصون ويلعبون في فناء البيوت لم تعد ضحكاتهم تعانق السماء لقد سرقتها أصوات المدافع والرشاشات حتى الأشجار هناك باتت هزيلة وحزينة .

تعرف أنّه سيجيء ذلك اليوم الذي سوف تعود فيه إلى ذلك المكان تبحث عن راحة روحها لم تكن تتوقع أنها لو عادت ستجده هناك منتظراً، وبصرة ملابس وعلى عجل انطلقت دون أن تخبر أحداً أحسّت بنفسها تسير بين الأشجار ثم تنطلق وتركب الحافلة وكأنّ هناك من يحملها وكأنّها ليست هي، سارت بها الحافلة في طريق زراعي قديم يربط بين المدينتين حيث تقطن الآن ومدينتها القديمة في شوارع لم تعد تعرفها ومناظر لا تهتدي إليها بذاكرتها وصلت لمحطتها تغير المكان كثيراً ، بالكاد تعرفه الكشك الذي كان على الناصية لم يعد

موجودا ودكاكين الصاغة كلها ليست موجودة ومحلات الحلويات صارت مجمعاً كبيراً لسيارات الأجرة كذلك لم تعد تقف هناك لم تعد المحطة صاخبة كالسابق أرادت أن تقول لنفسها حتى السماء لم تعد بتلك الزرقة التي تحب لقد تغيرت كذلك .

سارت تجر قدميها ودموعها متحجرة في مآقيها تهادت في طريق تظنه يقودها لمنزل والدها ..هذه المرة لم يخب ظنّها كانت متوجسة وأحست أن المكان مهجور خرج من يخبرها بأن صاحب المنزل قد مات منذ سنين وأن زوجته انتقلت بعد أن باعت المنزل .

لقد صدمها الخبر ونزل عليها ليغرز سكينا في قلبها ليتها لم تأتي لكنّه خبر متوقع ، أتبكي أباها وتبكي معه طفولتها التي باعتها زوجة أبيها بدراهم قليلة حين باعت المنزل ، "مضت سنين عجاف على هذا المنزل لكنه لا يزال جميلا ...وبه أثر الحياة بالرغم من أنه مهجور...آه يا لروعته " انسحبت من المكان بصمت لا تعرف كيف تعزي نفسها الشعوربأن من نحب على قيد الحياة يقدم لنا الأمل والمواساة سارت بها قدماها دون كلل لم تغفل ذاكرتها عن طريق منزلها الذي تجرعت فيه خيباتها ، ظلت تسير حتى شارفت على الوصول لم تفكر بشيء طوال الوقت غير شعورها بالغثيان والإعياء وتحجر مآقيها وانفطار قلبها ..شرفة المنزل مضاءة فاجأها المشهد معقول أنّ

هناك من يسكن المنزل !! سنين طوال ومازال كما هو سوى أنه قد ازداد هرما وقدما هذا ما فعلته به السنوات التي مضت . هي لم تتوقع أن يكون قد عاد لم تخطط لموقف كهذا ولم تستعد له قالت في نفسها " فعلا إنه مضاء "

اقتربت وطرقت الباب ، المساء في أول خيوطه ورائحة التراب مع أولى قطرات المطر التي تتساقط بخفة آه تلك الرائحة تشعل فينا ذلك الحنين لطين الأرض التي خلقنا منها. طرقت الباب ثانية ، فزع من تلك الطرقة نهض مستعينا بيديه على كرسيه أخذ بيد الباب ليفتحه دون أن يسأل فتح الباب وكانت الدهشة والحيرة ، ذاكرة وتعابير جسد ، سنين ماضية كل تلك الأيام بخيرها وشرها بفرحها وحزنها تقف على عتبة الباب ماذا يقول لها وبماذا ترد؟؟.عمرها انقضى وضاع تحت ظلم رجل شرقي قاس .

هي من شاركتنا ألمها وأحزانها، صورته القاسية الظالمة تمسح ذاكرتها من جديد التقاسيم التي رسمها الزمن على يديها ووجنتيها وانحناءات ظهرها وصفرة تعلو ذلك الوجه الذي ذبل مع الأيام كما الزهور، الزمن يقف فاصلاً عنيفاً بينهما، لم تعد كما كانت ولم يعد هو ذلك الشخص إنهما جسدين بروحين منهكتين، إنه البوح أخبرها بما لم يخبر به أحدهم يوماً، بضعفه بانكساره الذي لم يعترف به أمام نفسه كان صعباً عليه إحتاج عمراً حتى يكون، أخذ معه أحلاماً واختطف سعادة من

الكثيرين أحست أنه شخص آخر ذلك الذي يتحدث عنه بقدر صدقه معها حاكمته في نفسها بما لم تقر به عينها يوما خاطرت نفسها " أنا من أدخلته ملحمتي في هذه الحياة وشكوته للزمان إنّه ماضيّ الذي لن أنساه لكنّي لن أعيشه مجدداً ..."

الماضي جزء منّا لكنّه لن يحدد مستقبلنا.

هكذا نحن الشرقيات يصوغنا الرجل كما يشتهي يتدفأنا كمعطف في الشتاء ويلفظنا في أول صيف .

عندما كانت في دار الأيتام عاشته تفكيراً فالحوارات الصامتة أبلغ من الكلام ، طال هذا الصمت بينهما وكأنهما تمثالان من حجر كان الجدار بينهما قويا ليس له منفذ، لم يعد يعنيها، لم يعد ملهمها .

صاحت ...لم أعد أحبك لم أعد شرقية الأفكار والمشاعر .....سأمنح نفسي حياة جديدة وأقول لها قري عينا.....

نعم ونحن سنقول لك (فكلي واشربي وقري عينا).....

للكاتبة عاتكة العمري

تمت بحمد الله وفضله .

المحتويات

الفصل الأول

(الذكريات) ٧

(الفصل الثاني)

سلوى ٢١

(الفصل الثالث)

صحوة ٣٩

(الفصل الرابع)

انتقام ٤٩

(الفصل الخامس)

نسيان ٦٥

(الفصل السادس)

القرار ٧٩

عن الكاتبة عاتكة العمري :-

حقوقية، روائية وكاتبة أردنية

مدربة واستشارية أسرة، مقدمة للعديد من الدورات في تنمية الفكر والذات أونلاين ومباشر. ناشطة اجتماعية في مجال المرأة حاليا.

أعمالها الأدبية

رواية قدوة الأدب

رواية ذاكرة عند الصفر

رواية وقري عينا

كتاب عقلك حديقة أفكارك

كتاب عودة الرفيقات

رواية مغلوب فانتصر

رواية وللنساء نصيب

المجموعة القصصية أنوار جارة الوادي

المجموعة القصصية واسمعي يا جارة

مشاركة بالمجموعة القصصية أهو دا اللي صار لمبادرة نساء مبدعات .

مؤسسة منصة وقري عينا ومبادرة البساط أنثوي

رابط المنصة:

رابط الحساب/https://www.facebook.com/8re3ena الشخصي :

https://www.facebook.com/um.muhab